الرئيس مكنلي

المرء باصغيرهِ قلبهِ ولسانهِ حقيقة يعترف بها الناس ثم يتناسونها ثم يعودون اليها تارةً أُخرى كأنَّ الحقائق لا ترسخ في النفوس ما لم تعززها الاحوال التي ترتبط بها .

صاحب الترجمة رجل بقلبهِ ولسانهِ ساد قومهُ ولكن لولا قومهُ ولولا ما لهم من العزَّة والمنعة ولولا الحالة التي قضى بها ما امتاز نعيهُ عن نعي امثالهِ من نوابغ الرجال الذين يعدون بالالوف في بلادهِ حتى لقد يظن المرء ان الناس يتزلَّفون الى الامة الاميركية بتعظيم قدر رئيسها ومشاطرتها الحزن عليهِ لكثرة ما ابدوا من ذلك

وُلد وليم مكنلي في بلد صغير من ولاية اوهايو في التاسع والعشرين من شهر يناير سنة ١٨٤٣ فاغتالتهُ يد فوضوي في سن الكهولة وعنفوان القوَّة العقليَّة . وهو مثل كثيرين من

الاميركيين العصاميين لا يمتاز اسلافهُ الاَّ بالفضائل وكرم الاخلاق . ومثلهم بذل والداهُ جهدهم في تعليمهِ وتهذيبهِ بما تصل اليهِ طاقتهما حاسبين ان العلم والادب خير من الجاه والنشب حتى اذا اتمَّ دروسهُ في مدرسة اليغني الكليَّة صار مدرّساً يفيد غيرهُ بما استفادهُ . ونشبت الحرب الاهليَّة سنة ١٨٦١ وكان في التاسعة عشرة من عمرهِ فتجنَّد مع المتطوعة " نفراً " وبقي اكثر من سنة قبلما صار ملازماً ثانياً . وفي السنة التالية صار ملازماً اول وفي التي بعدها يوزباشياً ثم بكباشياً بلغ هذه الرتبة في اقل من ست سنوات وبها خرج من الجيش حينما وضعت الحرب اوزارها وقد نالها بشجاعتهِ ومهارتهِ وبقي يلقَّب بلقب ماجور (بكباشي) الى ان صار رئيساً للجمورية الاميركية . فهو من هذا القبيل مثل الوف من الشبَّان الاميركيين الذين خدموا بلادهم في تلك الحرب بل ان كثيرين منهم امتازوا عليهِ حينئذٍ او سنحت لهم الفرص للامتياز اكثر مما سنحت لهُ . دخل الجندية فتىً وخرج منها فتىً لا مالٍ ولا جاه ولا حرفة للكسب فجعل يدرس علم الحقوق ليصير محامياً واجيز لهُ ولكنهُ لم يشتهر بذلك لأنَّ القدَر خبَّأ لهُ واسطة أُخرى للشهرة ابتدأت فرصتها سنة ١٨٧٦ حينما انتُخب عضواً في مجلس النواب فادرك اعظم ما يدركهُ المرء في الجمهورية الاميركية وهو رئاسة البلاد

ويعاد انتخاب النوَّاب كل سنتين فأُعيد انتخابهُ سبع مرات متوالية في اربع عشرة سنة لثقة قومهِ بهِ . وكان من القائلين بحماية الصناعة الاميركية اي بضرب الرسوم الفادحة على المصنوعات الاجنبيَّة لكي لا تزاحم المصنوعات الوطنيَّة . وهو مذهب لبعض الناس يعدونهُ من اكبر عوامل النجاح لكن نفعهُ يعود على الخاصَّة لا على العامَّة فاذا ضربنا رسماً فادحاً على المنسوجات الاجنبيَّة لكي لا تزاحم المنسوجات الوطنيَّة كانت النتيجة ان هذا الرسم يضاف الى ثمن الاجنبي منها والوطني معاً فيربحُ اصحاب معامل المنسوجات ويخسرهُ جمهور الناس الذين يستعملونها والنتيجة اللازمة عن ذلك ان يزيد الاغنياء غنًى ولا ينال الجمهور الكبير غير التعب والضنك . ويقيننا ان مكنلي كان مخلصاً لامتهِ معتقداً صحة مذهبهِ يقصد بهِ فائدة الصناعة الاميركية لا اصحاب المصانع

الاَّ ان اعتناق مذهب يفيد الاغنياء ويزيد ثروتهم لا بدَّ من ان يحملهم على نصرة صاحبهِ فقوي انصار مكنلي لان القوة للدينار . والظاهر ان الزمان اراهُ فساد هذا المذهب بعدئذٍ فعوَّل على تحويرهِ كما يظهر من الخطبة التي القاها قُبيل وفاتهِ

واريد انتخابهُ عضواً في مجلس الشيوخ الاميركي فلم يفز بذلك فانتخبهُ حزبهُ حاكماً لولاية اوهايو وزادت اصوات منتخبيهِ واحداً وعشرين الفاً ثم اعيد انتخابهُ بعد سنتين وزادت اصوات

منتخبيهِ حينئذٍ واحدًا وثمانين الفًا فلم تبقَ شبهة في اجماع ابناء وطنهِ على انهُ من الاكفاء الذين يقدرهم الناسُ قدرهم

وزاد حزبهُ وزادت شهرتهُ حتى رُشِّح لرئاسة الجمهورية سنة ١٨٩٢ فلم يفز بذلك بل فاز الرئيس هريسُن . ثم رُشِّح في الانتخاب التالي سنة ١٨٩٦ فانتخب رئيسًا بعد نزاع شديد لم تَرَ الولايات المتحدة اشد منهُ . وكان خصمهُ مرشَّح حزب الديموقراطيين المستر برين يقصد ان يجعل الفضة معاملةً قانونية في البلاد الاميركية كالذهب فينصرهُ اصحاب مناجم الفضة وهو اي المستر مكنلي يقول ان المعاملة القانونية يجب ان تنحصر في الذهب . فلو انتُخب المستر برين وصارت النقود الفضيَّة معاملة قانونية لحقَّ للحكومة الاميركية ان توفي ربا ديونها نقودًا فضيَّة بقيمتها الاصليَّة ومعلوم ان قيمة الفضة الآن نصف قيمتها الاصلية فيخسر الاغنياء اصحاب الديون الاميركية نصف ديونهم . وبديهي ان المال بعد النفس يدافع عنهُ المرء بكل مرتخص وغالٍ فلا عجب اذا قوي حزب مكنلي والاغنياء نصراؤهُ ورأيهُ الاصوب والاقرب الى العدل

ويقال ان مكنلي لم يكن من هذا المذهب اولاً بل كان يرى ان تضرب النقود من الفضة من غير حد حاسبًا ان مسألة النقود ثانوية بالنسبة الى مسألة حماية الصناعة وغرضهُ من الامرين فائدة الجمهور لكنهُ عاد فرأى ان فائدة الجمهور لا تقوم بالاعتماد على معاملة ليس لها قيمة ثابتة فعدل عن رأيهِ حبًّا بالنفع العام . وعرفت الامة ذلك منهُ حتى ان جمهورًا كبيرًا من الديموقراطيين انحاز الى حزبهِ وقت انتخابهِ فصوَّت لهُ سبع مئة الف منهم . وبلغت اصوات المنتخبين الاخيرة لهُ ٢٧١ وللمستر برين ١٧٦ فجعل رئيسًا للولايات المتحدة الاميركية . ثم رأى مجلس الامة ان لا بدَّ لهُ من الاقرار على جعل الذهب مقياس المعاملة وحدهُ دون غيرهِ حتى لا تبقى معاملة البلاد غرضًا لتنازعهُ الاحزاب فاقرَّ على ذلك سنة ١٩٠٠

وكان في الولايات المتحدة حزب كبير يودُّ محاربة اسبانيا لتحرير كوبا منها اما الرئيس مكنلي فكان يحسب انهُ يمكن تحرير كوبا بغير الحرب و بذل جهدهُ في هذا السبيل ولكن نسف البارجة ماين في كوبا غلَّ يديهِ ودفعهُ الى الحرب رغماً عنهُ فادار رحاها ولم تضنَّ عليهِ الامة بمالٍ ولا برجال . ووضعت الحرب اوزارها بعد ان دارت الدائرة على اسبانيا واضيفت فيلبين و بورتو ريغو الى اميركا في معاهدة باريس واضطرت الولايات المتحدة ان تدخل في عداد الدول الاستعمارية اي التي تستعبد الناس بحجَّة اصلاح شؤونهم ثم تحرمهم الحق الطبيعي الذي لا تصلح الشؤون بدونهِ وهو المساواة مع سائر الرعايا

ولما انتهت مدة رئاستهِ الاولى وهي اربع سنوات أُعيد انتخابهُ للرئاسة باكثرية كبيرة

اثبتت علو منزلتهِ عند امتهِ

وفي ٦ سبتمبر بينما كان يستقبل الناس في معرض بفلو تقدم اليهِ بحجة السلام عليهِ فوضوي بولوني الاصل يسمَّى زولوجوز واطلق عليهِ رصاصتين من مسدس حملهُ بيسراهُ تحت منديلٍ فاستخرجت الرصاصة الاولى التي اصابت صدرهُ ومزقت اللحم فقط اما الثانية فاخترقت بطنهُ الى الجدار الخلفي ولم يتمكن الجرَّاحون من اخراجها وتعلَّق الامل في بادىء الامر بحياتهِ الى ١٣ سبتمبر حين تغيرت حالتهُ فجأة وتوفي في ١٤ منهُ الساعة الثانية بعد نصف الليل ونقلت جثتهُ الى وشنطون في ١٧ منهُ ودفنت في ٢٠ منهُ في كنتون (اوهيو) بمشهد من ٧٠ الف نفس. ولم يكد نعيهُ ينتشر في المسكونة حتى بادر ملوك الارض ورؤساؤها وعظماؤها الى مشاركة الامة الاميركية في حزنها على رئيسها كأنهُ من اعظم ملوك الارض شأنًا واقربهم اليهم مودَّةً فارسل امبراطور المانيا الى زوجتهِ بالتلغراف التالي

" اني وزوجتي الامبراطورة نعرب لكِ عن حزننا الشديد على فقدكِ زوجك المحبوب الذي اغتالتهُ يد اثيمة وعسى الله الذي منحكِ ان تعيشي معهُ سنين كثيرة بالسعادة والهناء يقدِّركِ الآن على احتمال هذه المصيبة التي افتقدكِ بها "

وبعث ملك الانكليز الى سفير الولايات المتحدة في لندن بالتلغراف التالي

" اني اشاركك واشارك الامَّة الاميركية كلها في الحزن الشديد على فقد رئيسكم الفاضل الذي يبقى الاسف عليهِ مدى الدهر " . وامر ان يحد عليهِ البلاط الانكليزي اسبوعًا كاملاً

وارسل رئيس الجمهورية الفرنسوية الى زوجة مكنلي التلغراف التالي

" اني اشاركك من اعماق قلبي في المصاب الذي حل بكِ بفقد اعز شخص لديكِ المصاب الذي حرم الامَّة الاميركية العظيمة من رئيس حائز بالاستحقاق التام اعظم الحب والاكرام " . ثم زار السفارة الاميركية بنفسهِ لتقديم فروض التعازي

وبعث اليها رئيس جمهورية سويسرا يقول

" في هذا اليوم الذي حلَّ مصابهُ بكِ وبالولايات المتحدة ابعث اليكِ اينها السيدة بما يشعر بهِ مجلس اتحاد سويسرا من الحزن الشديد على فقد زوجك رئيس الولايات المتحدة المحبوب الذي اغتالتهُ يد الاثم "

وكان الرئيس مكنلي قوي الحجة شديد العارضة حببَّهُ الى الشعب الاميركي فضيلتهُ العائلية التي يجلها ذلك الشعب فوق كل فضيلة فقد اقترن بامرأة فاضلة كانت عيشتهُ معها وعيشتها معهُ مثالاً للعيشة الزوجيَّة الطاهرة ثم زاد حبُّهُ في قلوب امتهِ لما رفض بتاتًا ان يرشح للرئاسة مرة ثالثة